

التبيان في تفسير القرآن

(24) تعالى " وجعلنا ابن مريم وأمه آية " (1) ولوثنى لكان حسنا - في قول الفراء - وقوله " لعلهم يتقون " معناه لكي يتقوا معاصي الله خوفا من عقابه. ثم قال تعالى " ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون " فالتشاكس التمانع والتنازع، تشاكسوا في الأمر تشاكسا، وفي الشركاء تشاكس في البيع، وتدبير المملوك ونحو ذلك " ورجلا سلما لرجل " ف ضرب المثل للموحد بعبادته الله تعالى وحده - عزوجل - والمشرک بعبادته غيرا - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد - (هل يستويان مثلا) في حسن الحال، لا يستويان لان الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وحياطته ما لا يستحقه صاحب الشركاء المختلفين في امره. ثم قال (الحمد لله) يعني المستحق للشكر والثناء على الحقيقة هو الله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون) حقيقة، لجهلهم بالله ومواضع نعمه. ثم قال لنبيه (إنك يا محمد) أي عاقبتك الموت، وكذلك هؤلاء لان (كل نفس ذائقة الموت) (2) (ثم إنكم) يبعثكم الله (يوم القيامة) ويحشركم يوم القيامة فتختصمون عندها. ومعناه كل طائفة منكم ترد على صاحبها يوم القيامة وتخاصمها، فالاختصاص رد كل واحد من الاثنين ما أتى به الآخر على وجه الإنكار عليه. وقد يكون أحدهما - محقا والآخر مبطلا كالموحد والملحد. وقد يكونان جميعا مبطلين كاختصاص اليهودي والنصراني، وقد يكونان جميعا محقين إذا قطع كل واحد منهما على صواب اعتقاده دون غيره، ويكون اختصاصهم في الآخرة بدم رؤساء الضلالة في ما دعوهم إليه ودفع أولئك عن أنفسهم، فيقول الأولون: لولا أنتم لكانا مؤمنين _____ (1) سورة 23 المؤمنين آية 51 (2) سورة 3 آل عمران آية 185 وسورة 21 الانبياء آية 35 وسورة 29 العنكبوت آية 57 (*)